من إشكالات التفسير
بين الملائكة وآدم وإبليس

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

أورد القرآن الكريم خلاصة وافية وجزة لما جرى بين الملائكة وآدم وإبليس ثم عرفه
على أوامر الله. وعرض القرآن لقطات من هذه القصة في عدة سور، وكانت اللفظة
المعروفة منها مناسبة مع السيرة المعروفة فيها.

ومن السور التي ذكرت طرفاً من تلك القصة: البقرة، والأعراف، والحجر،
والإسراء، وطه، وص.

وقد أثيرت إشكالات حول معاني الآيات التي عرضت تلك القصة، وخلق
المفسرون في تفسيرها. وتتنوع إجاباتهم للأسئلة التي وردت عليها. وذهب بعض
المفسرين مذهبًا بعضاً في التفسير، وها إلى الإسرائيليات والأسر، والأخيار غير
التالبة، والروايات والأقوال الباطلة، والقضص المزعومة المفترضة، وفسر آيات القرآن
بذا

«الكم» الكبير أو «الركام» الثقيل.

وسوف أذكر أهم الأسئلة والإشكالات التي ترد على القصة، وأستعين الله في ذكر
الإجابة على الأسئلة، وحل تلك الإشكالات. ولا أدعي التفرد في هذا، بل أقول أن
معظم ما أوردته هما التقطت من درر وجوهر علمانيا الأعلام ومفسريننا الأجلاء، فلا
أبني إلا من حسباتهم، ولا أخطأ إلا من كونهم!

1 - هل خلق الجن قبل آدم؟

قد يبتكي الأمر على بعض المسلمين فيتساءل: أيها خلق أولاً الجن أم الإنسان؟ آدم أو
إبليس؟

إن القرآن صرح في أن الجن خلقهم الله قبل الإنسان، حيث قال: «وقد خلقنا الإنسان
من ص灵气ين من حواسين، والجن خلقاه من قبل من نار السموم» (الحجر: 26-77).

فكلمة «من قبل» تدل على أن الجن خلقوا قبل آدم.()

أما الملائكة فهم علقوهم قبل آدم أيضاً، كما هو صريح القرآن، قال تعالى: «وأو قال ربه

(168) هدي الإسلام
الملاكية: إنري جافيل في الأرض خليفة» (القرن: 30)، وقال تعالى: (وَذَٰلِكَ رَبِّكِ المَلَائِكَةِ) للملاكية، إننا خلقنا بشرًا من طين، فإذا سوّه ونفث فيه من روحي، فغفوا له ساجدين.
(ص: ۱۷۲-۱۷۳)
إذن الملاكية خلقوا قبل آدم، والجني خلقوا قبل آدم، وإبليس خلق قبل آدم.

٢— هم خلقت الأجناس الثلاثة؟

العقلاء في هذا الكون ثلاثة أجناس: الملاكية، والجني، والإنس، أما الملاكية فقد خلقهم الله من البرر، والجني خلقهم الله من النار، وآدم _ أبو البشر _ خلقه الله من الطين.

وقد صرح القرآن بآداء خلق الجن، فقال: «وخلق الجن من مارج من نار» (الحجر: ۱۱۵)، وقال: (ولخلق لنا خلقنا من قبلك من نار السموم) (الحجر: ۲۷)، والمرج هو الخلط، والروح هو الاحترام كما يقول الراغب في المفردات (۴۸۵) : فارج النار هو تسبب

النار المختلط بالدخان، وهو أعلى جزء من النار، الذي اختلط به الدخان المنتبعث منها.

ونار السموم التي خلق منها الجن هي النار الحارة شديدة الحرارة (المفردات: ۲۴۱).

وقد يظن بعض الناس أن الكافر ين من الجن الذين سيغبطهم الله باللقاء، لينفر فيهم النار.

ولن تضرهم، لأنهم خلقوا من النار، فكيف تضرهم المادة التي خلقوا منها؟

وهذا ظن خاطئ، فإنهم سيغبطون في النار، سوف تضرهم وتؤذونهم ويتلوون فيها، فهاء هو الإنسان، إنه مخلوق من الطين، ومع ذلك لا يضره التراب والطين، فلو صنعوا من الطين لنثبت، وضربنا بها إنسان فإنا سطده ودنده، وما تقضي عليه وتقنله!

أما الدليل على أن الملاكية خلقوا من البرر، فهو الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم _ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها _ «خلقت الملاكية من نور، وخلق الجني من مارج من نار، خلق آدم مما وصف لكم» مسلم: ۵۳ كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة حديث رقم: (۲۴۹۶).

٣— التوقيع بين آيات خلق آدم:

وردت عدة آيات عن المادة التي خلق منها آدم أبو البشر، ويدو في دلالة هذه الآيات شيء من (التعارض الموهوم) حيث تحكر الآية عن مادة خلقه، ثم تحير آية أخرى عن مادة أخرى.

وقد يوجه بعضهم شبهات حول القرآن هذا السبب، ويثير على تلك الآيات إشكالات

هدي الإسلام(۱۷)
وعتراضاً، ويتهم القرآن بالتعارض والتناقض والاضطراب. وسوف نورد هذه الآيات حسب ترتيب مراحل خلق آدم، لأن هذا الترتيب المرجلي يزيل ذلك التعارض المهموم.

أ- خلق آدم من تراب، قال تعالى: «ومن آبائه أن خلقكم من تراب، ثم إذا تم بشري» (الروم: 20).

ب- خلق آدم من طين، قال تعالى: «هو الذي خلقكم من طين، ثم قضى أجلاً، وأجل مسمى عنه» (الأغام: 7).

ج- خلق آدم من طين لازب، قال تعالى: «أمه أشده خلقاً أم من خلقنا؟ إنه خلقنا» (الصفات: 11).

واللازب هو: السحاب الشديد الثبوت، (المفردات: 449) أي أن هذا الطين أصبح ثابتاً قوياً متماسكاً جامداً.

د- خلق آدم من حامسون، قال تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حامسون» (الحج: 24).

والحماج هو الطين الأسود المتين، (المفردات: 133).


فالحماج الحاسون هو الطين الأسود، حيث يغيره ويتنتمى بعد عينه بالماء.

ه- خلق آدم من صلصال كالفخار، قال تعالى: «خلق الإنسان من صلصال كالفخار» (الرحمن: 14).

والصلصال هو تردد الصوت من الشيء البيبسي، ومنه قيل صلب السماء، عندما يخرج منه صوت إذا دق في الجدار، وسمي الطين الجاف صلصالاً، (المفردات: 284).

والفخار معروف.

ومن معنى صلصال كالفخار أن طبقة آدم تركت حتى أصبحت ببسية، وطالما هي جوفاء، لذلك كانت تتصوَّت، أي يخرج منها صوت كفصلة.

وهنا لفظة لطيفة عن الفخار والفخار وارتباط هذا التفاح والتباهي بالناس وطيبته، تستعيرها من الإمام الراغب في المفردات.

قال: الفخار: الجرار، وذلك لصوته إذا نقر، كأنما تصور بصورة من يكثر التفاح، فلهذا:

سمي فخاراً (المفردات: 374).
وكون الإنسان الأول آدم عليه السلام صلصالاً كالفخور قبل نفخ الروح فيه، يحيى.

ميل الإنسان غير الملتزم بالآيام والاسلام إلى الفخور والتكبر والتباهي والخيلاء.

وتشبه هذا الفخور المتكبر بالفخور الفارغ من الداخل، يحيى بأن كل متكبر مفاخر فارغ.

من الداخل، فارغ من الأيدي العميقة والصفات الجيدة والأخلاق الفاضلة والأعمال الجيدة.

فبلى أن يخفى هذا الفارغ عن طريق الادعاء والفخور، وكانه هذا الانتفاض الخادع والوهم.

والمض، بمثابة ذلك الفارغ في قلبه وروحه وكيانه وإنسانيته، الذي يشبه فخور الفخور الذي يملوء

بالصلصلة والصوت.

والآن، وبعد إبراد الآيات، يسهل علينا التوفيق بين دلالاتها، وإزالة التعارض الموصوم

بينها.

إن كل آية منها تشير إلى مرحلة من مراحل خلق آدم عليه السلام.

فهو أولاً خلق من التراب.

ثم خلط التراب مع الماء فصار طيناً.

ثم ترك الطين حتى صار طيناً لازباً.

ثم تحول هذا الطين إلى جسم.

ثم أصبح الحما المسنون بعد ماجف وبيس صلصالاً كالفخور.

4 - هل إيليس من الجن أو من الملائكة؟

وهذه قضية أخرى، أثيرت حول قصة آدم وإيليس، هل إيليس من الجن أم من الملائكة؟

ذهب بعض السالفين إلى أنه من الملائكة، وذلك شمله الأمر الرتاني لهم بالسجود للآدم.

قالوا: فلعلن يكن من الملائكة لما شمله الأمر.

لكن هؤلاء واجهتهم مشكلة أكبر، إذ كيف يوقعون بين مصيبة إيليس لربه وتمرده على أمه، وبين كون الملائكة لا يعصون الله؟

ورجع جمهور المفسر بن أن إيليس كان من الجن وليس من الملائكة.

والقول الصحيح والمعتمد هو أن إيليس كان من الجن وليس من الملائكة، وذلك للأدلة التالية:

أ - إن القرآن قد صرح بأنه من الجن، وذلك في قوله تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا آدم، فسجدوا إلا إيليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) (الكهف: 50).

ب - إيليس كان من الجن، وفسق عن أمر ربه وتمرده عليه.
وهذا نص قرآني صريح، لا يحتوي التأويل، ولا أدري كيف أجاز بعض المفسرين لأنفسهم الاختلاف في أصل إيليس رغم تصر ف ين القرآن بذلك؟ ولا أدري كيف يقول آخرون. خلاف ما يقبل القرآن؟
القرآن يقرر أن إيليس كان من الجن فقى عن أمر ربه، وذهب بعضهم إلى أن إيليس كان من الملائكة!
عليها أن تأخذ من القرآن ما يقرره، وأن تقول بما قاله، وأن تستمتع من أفكارنا وتصوراتنا، ولايجوز أن تتخلى عن مقررات القرآن وحقائقه، ولا لا نه ويعاته.
ب - الدليل الثاني: ما أجاب به إيليس ربي العالمين عن عدم سجوده لأدم، حيث قرر أنه خلق من نار، قال: أنا خير منه، خلقته من نار، خلقته من طين (الأعراف: 12).
وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الملائكة خلقوا من نور، وأن الجن خلقوا من نار، وطالما أن إيليس خلق من نار فهو من الجن.
- لماذا إيليس ليس من الملائكة؟
إيليس ليس من الملائكةجابلي:
1 - إنه خلق من النار، مع أن الملائكة محرومون من النار.
2 - إنه خشي الله، وخلاف أمره، فلو كان من الملائكة لسجد معهم، ولنفد أمر الله سبحانه.
إن القرآن صريح في عصمة الملائكة، وفي طاعتهم الله، وتنفيذهم لأوامره، وعبادته وذكره، وأنهم لايمرون من العبادة والطاعة، ولا يتزرون ولا يفسرون، قال تعالى: (ومن عند الله لا يسمرون عن عبادته، ولا يفترون، يسبحون الليل والنهار.)
وليفرعون (الأبياء: 19–20).
قال تعالى: (بأباؤا الذين آمنوا، ألقفسكم وألعلكم ناراً وقودها الناس والحجارة، عليها ملاكية غلاط شداد، لا يعسون الله ما أمرهم، ولا يفعلون ما يفترون) (الحجر: 6).
إن اعتبار إيليس من الملائكة يتعارض مع هذه الآيات الصريحة في عصمة الملائكة.
وقد أشار القرآن في موضع آخر إلى سجود الملائكة جميعهم، قال تعالى: (فسلد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إيليس أبي أن يكون من الساجدين) (الحجر: 30–31).
وأظهر من الآيات تأكيد القرآن على سجود كل الملائكة، حيث أورد لفظتين مؤكدين، وهما (كلهم) و (أجمعون). لقد سجد الملائكة كلهم، سجدوا جميعهم، سجدوا أجمعون.
وقد ينوه هنا تساؤل آخر: أما أن إيليس كان من الجن، فلماذا شمله الأمر بالسجود؟ ومنذ متى كان مع الملائكة؟ وماذا كان يعمل عندهم وبينهم؟
(هدي الإسلام (20))
لا يوجد في القرآن ولا في الحديث الصحيح إجابة على ذلك، ولذلك لا تستطيع أن تجيب بجواب يفهمي قاطف، ولا تجوز أن نأخذ في ذلك الجواب عن الإسرائيليات والخواصات والأقوال بل غير الصحيح عن أهل الكتب كما فعل بعض السواكن من المفسرين.

لا يعرف مصطلح كان مع الملائكة، ولأنه يعترض عليهم وعمله بيهم، أما كونه مامورًا بالسجود، فهذا مصطلح القرأن، قال تعالى: "قال مانعوك إلا تجد إذ أمرتك؟" (الأعراف: 12).

هل توجه له أمر خاص؟ هذا ممكن، ولم ينفر عنه القرآن، ربما يكون ذلك استبانة به بعد ماتمرد على أمر الله.

هل شملة الأمر العام للملائكة، باعتباره مقيماً معهم، هذا كذلك ممكن، لأن الإنسان إذا أقام مع قوم، فإنه نطبق عليه قوانينهم وأنظمةهم، وإن لم يكن واحداً منهم.

6- معنى الاستثناء!

لما أخبر القرآن عن سجود الملائكة لأدم، استثنى إبليس، فقال: "إذ فلنا للملاكية استجدوا لأدم، فسجدوا، إلا إبليس أبو واستكبر وكان من الكافرين" (البقرة: 34).

وهو الاستثناء أوقع بعضهم في إشكال، فذهبوا إلى أنه من الملائكة، لأن القرآن أخبر عن سجودهم واستثنى إبليس منهم.

وحتى تجيب على هذا التساؤل، وحل هذا الأشكال، نشير إلى اشارة النحوية: ذهب على اللغة العربية إلى أن الاستثناء نوعان:

أ- استثناء متصل: هو أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، كأن يقول: نجح الطلاب إلا عليا، فعند طلاب من جنس الطلاب، لكنهم لم ينجحوا.

ب- استثناء منفصل: هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كأن يقول: قام القوم إلا حارب، فالقوم جميعًا قاموا، ولكن الحارب لم يقوم، وهو من غير جنس القوم، (انظر النحو الوافي لعباس حسن 318:2).

في ضوء هذا البيان، يتضح لنا أن استثناء إبليس من الملائكة، هو من النوع الثاني، فهو منفصل أو منقطع، وإبليس ليس من جنس الملائكة.

7- معنى سجودهم لأدم وكيفيته:

أمر الله الملائكة بالسجود لأدم، فنفذوا الأمر وسجدوا.

فكيف كان سجودهم؟ بعض المفسرين يعتبرون سجودًا معنويًا، بمعنى الاحترام والتكريم.
لالذالوك، والانحناء أمامه، ونفوا أن يكون سجوداً حسياً حقيقياً. وهذا الرأي غير معتمد لأنه يجعل اللظة على المجاز، وصيره عن الحقيقة. ولأن القرآن يشير إلى ضده.

القرآن يشير إلى أن السجود كان حسياً حقيقياً، قال تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني خلقن بشراً من صلالة من أنفسنا، فذا سويته وخفت فيه من روحي، فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلههم أجمعون" (الحجر 28-30).

قروا: فعل أمر من الوضع، وعمنى قواه له ساجدين، استجوا على الأرض، بين يدي آدم عليه السلام.

وسمي السجود الملكة لأدم ليس سجود عبادة، لأن العبادة لا تكون إلا الله، وسجود العبادة لا يكون إلا الله، فإذا فعله صاحبه لغير الله فقد كفر بالله.

كان سجود الملكة لأدم سجود حقيقة وتكريم، فهو في ظاهرة سجود حسي، حيث وقفا على الأرض، وخرجوا ساجدين، لكنه في معناه كان تنبيه وتكرماً لأدم عليه السلام، كأنهم كانوا منتفدين أمر الله بالسجود مطيعين له.

كان سجودهم لأدم شياً نبضه المسلم للكعبة، واستقبال القبائل في الصلاة، فهو لا يصلى للكعبة، بل يصلي الله، وينذر أمره في التوجه للكعبة قبلة له في صلاته.

من الهدي النبوي الشريف

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم: أي العمل أفضل? فقال: "إيمان بالله ورسوله"، فقيل: ماذا قال؟ قال: "الجهاد في سبيل الله".
- وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله احب إليه ما سواهما، ومن احب عبدا لاجبه إلا الله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن انقض عليه كما يكره ان يلقى في النار."